

حَقُّ فَهَلْ مِنْ خَائِفٍ مُتَدَبِّرٍ
 نَزَلَتْ وَجُودٌ بَعْدَهَا كَالْعَسْكَرِ
 نَصْرًا بِمَا صَارَتْ مَحَلَّ تَنْصُرِ
 فِيهَا زُرُوعٌ مِنْ ضَلَالٍ مُؤَثِّرٍ
 وَيُؤِيدُونَ أُمُورَ ضِدِّ تَطَهَّرِ
 إِذْ صُلْتُ عِنْدَ تَنَاضُلٍ كَغَضَنْفِرِ
 أُخْبِرْتُ عَنْهُ وَلِيْتِنِي لَمْ أُخْبِرِ
 لُكْعٌ وَوَلَيْسَ بِعَالَمٍ مَتَبَحَّرِ
 تَهْذِي هُوَى مِنْ غَيْرِ عَيْنٍ تَبْصُرِ
 كَمْ صَارَ لَكَ يَا عَبِيطُ وَخَنْجَرِ
 وَالنَّفْسُ صَارِخَةٌ وَلَمْ تَتَّصِرِ
 إِنَا نَرَى صُورًا تَهْوُلُ بِمَنْظَرِ
 دَحْسًا كَكَلْبٍ نَابِحٍ مَتَشَدَّرِ
 فِي الْبِرِّ مَنفَرْدًا أُسِيرُ تَحْسُرِ
 قَرِيبًا بِمَا نَالُوا كِمَالٍ تَعَجَّرِ
 حَتَّى تَكْسِرَنَّ كِعَظْمٍ أَنْخِرِ
 مَاءٌ جَرَى مِنْ عِنْدَمٍ مَتَعَصَّرِ
 قَوْمًا أَوَابِدَ مَعَجَبِينَ كَضَيْطِرِ
 وَخَلَّتْ أَمَاعِزُ عَنْ سَحَابٍ مِمَطِرِ
 فَتَابَطُوا بِرَحَاءِهِمْ بِتَخْيِرِ

إِنِّي مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْأَكْبَرِ
 جَاءَتْ مَرَابِيعُ الْهَدَى وَرِهَامُهَا
 جُعِلَتْ دِيَارُ الْهِنْدِ أَرْضَ نَزْوِلِهَا
 فِيهَا جَمُوعٌ يَشْتَمُونَ نَبِيَّنَا
 قَوْمٌ يَعَادُونَ التُّقَى مِنْ خَبْثِهِمْ
 وَتَكَنَسَتْ ذَاتَ الْمِرَارِ ظِيْبُهُمْ
 مِنْهُمْ خَبِيثٌ مَفْسُدٌ مَتَفَاحِشِ
 غَوْلٌ يَسِبُ نَبِيَّنَا خَيْرَ الْوَرَى
 يَا غَوْلَ بَادِيَةِ الضَّلَالَةِ وَالْهُوَى
 قَطَّعْتَ قَلْبَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
 إِنَا تَصَبَّرْنَا عَلَى إِيْذَانِكُمْ
 إِنَا نَرَى فِتْنًا تَذِيبُ قُلُوبِنَا
 جَاءُوا كَمَفْتَرِسٍ بِنَابِ دَاعِسِ
 كَانُوا ذِيَابًا ثُمَّ وَجَدُوا سَخْلَةً
 وَتَرَى بَطُونَ الْمَفْسُدِينَ كَأَنَّمَا
 حَاذَتْ مَطَايَاهُمْ عَلَى أَعْنَاقِنَا
 فَاضَ الْعَيُونَ مِنَ الْعَيُونَ كَأَنَّمَا
 فَنَهَضَتْ أَنْصَحَهُمْ وَكَيْفَ نَصَاحَتِي
 قَدْ غَوِدَرَ الْإِسْلَامَ مِنْ جَهْلَاهُمْ
 شَاقَتْ قُلُوبَ النَّاسِ ظُغْنُ جِيَاهِهِمْ

زُجِّلْ عَمُونَ مَنْجَسُوا عَرَصَاتِنَا
 وَالْعَيْنَ بَاكِيَةً وَلَيْسَ بِكَأُونَا
 إِنَّ الْبَلَايَا لَا يَرُدُّ رِكَابَهَا
 إِنَّ الْمَهِيْمْنَ لَا يُضَيِّعُ عِبَادَهُ
 فَجَاءَتْ طَوَائِفُهُمْ كَذِيبٍ مُبَكِّرِ
 شَيْئًا سِوَى الْفَضْلِ الْمُنِيرِ الْمَسْفِرِ
 إِلَّا يَدَا مَلِكٍ قَدِيرٍ أَكْبَرِ
 فَافْرَحْ وَلَا تَحْزَنْ بَوَقْتِ مُضْجِرِ

أيها المنتصرون والعادون العمون! لقد جئتم شيئاً إداً، وجُزتم عن القصد جداً. تعبدون من مات وفات، وعظمتم العظام الرُّفات، وغمصتم الصادقين. وفيكم مَنْ إذا كُلمَ كُلمَ، وإذا سُلِّمَ ثلَّم. تقولون إنا لُقْنَا الحلمَ، وعُلِّمْنَا السلمَ، ولكننا لا نجد فيكم قارع هذا ❖ الصِّفَاة وقريع هذه الصفات، بل نجدكم حريصين على الضرِّ، وراغبين في إيصال الشرِّ. تسبِّون الأخيار، وتلعنون الأبرار، وتختالون من الزهو، وتنصبِّون إلى اللهو، وما تنصرتم إلا لتكونوا ذوي جُرْدٍ مربوطة وجِدَّةٍ مغبوطة، ولتميسوا في رِياش، وتتخلصوا من فكر معاش، وتجدوا ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين، ولتتجنَّوا قطوف اللذات فارغين.

ووالله إن فسق النصارى قد عظم في الديار، وأخذوا على الناس بأنواع التبار. اتَّسخت أبدانهم من أوساخ الذُّنوب، فما مالوا إلى الذُّنوب، وبلغ أمرهم من كثرة الأدران إلى الحِمَام، فما عَجُّوا إلى الحِمَام، وصاروا باديَّ الجردة كالأنعام، فما آلوا إلى حلال الإنعام، وأحبوا الذهب، والإيمانُ فرَّ وذهب، فأكبُّوا على الدنيا خائنين. وكذلك زادت منهم سموم الطغيان، وركدت ريح الإيمان، حتى صار الزمان كليلة حالكة الجلباب هامية الرِّباب، تركوا طريق الخير المأثور، ودعوا إلى الويل والثبور، ثم صار الكذب عادتهم، وإشاعة الفسق سيرتهم، وتوهين المقدسين خصلتهم، ومالُ الإعانات جرَّتهم.

❖ سهو، والصحيح: "هذه". (الناشر)

لا يبالون صغيرة ولا كبيرة، ولا يتقون جرأة ولا جريرة، ويفتنون قلوب الناس بأنواع الوسواس، أو ينطقون بالبهتان على رسل الرحمن. وشنّسّتهم الانتقال من صيد إلى صيد، والرجوع من كيد إلى كيد، فتارة يُروون النساء، وطورا بيضاء وصفراء، ومرةً مياهم الغزار، وأخرى الأشجار والثمار. فنشّب الجهال في شبكتهم، والفساق في هوّتهم، ونسلوا من كل حذب مصطادين.